الدرس الحادي عشر: الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة(٣/٣)

عناصر الدرس:

١: بيان معنى الإحسان.

٢: درجات الإحسان.

٣: بيان خصال الإحسان في العبادات والمعاملات.

٤: أبواب الإحسان.

٥: طرق معرفة الإحسان.

٦: معاني لفظ الإحسان في النصوص.

٧: الإحسان يكون بالقلب واللسان والجوارح.

٨: سمات المحسنين.

٩: تيسير الإحسان.

قال رحمه الله: (**الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ:**

الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].

- **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].
- **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ومَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
- **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠].
- **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَانٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]).

obeikandl.com

❐ قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

المرتبة الثالثة من مراتب الدين هي مرتبة الإحسان، وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

فالإحسان المراد هنا هو الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو متضمن للإحسان إلى من أمر الله عز وجل بالإحسان إليهم أمر وجوب أو ندب، لأن الذي يفعله تقرباً إلى الله عز وجل فهو متعبد لله تعالى بهذا الإحسان.

فالإحسان في عبادة الله تعالى ينتظم جميع معاني الإحسان.

وهو أعلى مقامات العبادة وأجلها.

فالمقام الأول هو مقام الإسلام، **والمقام الثاني** هو مقام الإيمان، **والمقام الثالث** هو مقام الإحسان.

والإحسان ضد الإساءة **ويطلق هذا اللفظ في لسان العرب على معنيين:**

المعنى الأول: الإتقان والإجادة.

والمعنى الثاني: التفضل والزيادة.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فالإحسان هنا يفسره قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أتقن في تفاسير السلف بمعنى: أحكم وأحسن وسوى وأوثق وهي معان متقاربة.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ والتقويم هنا التعديل وتسوية الخلق بإجماع المفسرين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ قرئ في السبع بالتخفيف والتشديد ﴿فعدَّلك﴾.

وقال الحارث بن جحدر الحضرمي يصف قطيعاً من الظباء:

حِماشِ الشَوى نُجلِ العُيونِ سَوانِقٍ ... مِنَ البَقلِ حورٍ أَحسَنَ الخَلقَ خالِقُهْ

ويقال فلان أحسن صنعته إذا أتقنها وأجادها، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (قيمة كل امرئ ما يحسنه).

والذي يحسن العمل هو الذي يأتي به على وجه حسن، وهذا الوصف يصدق على المعنيين فيكون العمل متقناً ليس فيه إساءة، ويكون فيه معنى التكميل والتتميم والزيادة على القدر الواجب.

فالذي يؤدي العبادة على القدر الواجب بحيث لا يكون مسيئاً فيها؛ فهو قد أحسنها، والذي يكمل آدابها ومستحباتها فهو محسن إحساناً أبلغ من الإحسان السابق.

وهذا يدلك على أن الإحسان يتفاضل فيه الناس؛ فيكون عمل أحسن من عمل، وعبادة أحسن من عبادة؛ وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [١١/ ٧].

وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

وقال فضيل بن عياض: (﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: أخلصه وأصوبه).

وقال: (العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا؛ الخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة).

فأول درجات الإحسان الإخلاص والمتابعة؛ لأن المشرك غير محسن، والمبتدع غير محسن، وبتكميل الإخلاص وتكميل المتابعة يحقق العبد مرتبة الإحسان.

والمتابعة تحفظ العبد من الغلو والتقصير

فأصبح من نواقض الإحسان في العبادة: الشرك، والبدعة، والغلو، والتفريط.

فالمشرك في عبادة الله تعالى شركاً أكبر أو أصغر غير محسن في عبادته بل هو مسيء غاية الإساءة.

والمبتدع غير محسن.

والغالي المتنطع غير محسن.

والمفرط المتساهل غير محسن.

فهؤلاء كلهم غير محسنين في أعمالهم.

واعلم أن المراد من العبد هو إحسان العمل، فكثرة العمل بلا إحسان من جهد البلاء، وقد قال الله تعالى في المشركين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المبتدعة: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال في الغلاة: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون» رواه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال للمسيء صلاته: ارجع فصلّ فإنك لم تصل.

وهذا يبيّن أن **الإحسان على درجتين من حيث حكمه:**

الدرجة الأولى: الإحسان الواجب، وهو أداء العبادة على القدر الواجب بإخلاص واتباع بلا غلوّ ولا تفريط.

فمن أدى العبادة على هذا الوجه فهو محسن الإحسان الواجب فيها.

والذي لا يؤدي هذا الإحسان ظالم لنفسه كما قسم الله تعالى الناس إلى فريقين لا ثالث لهما، **محسن** و**ظالم** لنفسه مبين، كما قال تعالى في خليله إبراهيم: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾

وكل من المشرك والمبتدع والغالي والمفرّط قد وقعوا في ظلم أنفسهم.

الدرجة الثانية: الإحسان المستحب، وهو أداء العبادة بتكميل واجباتها ومستحباتها وتعظيم النية فيها لله جل وعلا، فيكون في العبادة قوة إخلاص ومتابعة فيؤديها كأنه يرى الله عز وجل، فمن أدى العبادة على هذا الوجه فهو محسن، وهذا هو الإحسان المراد هنا.

واعلم أن الإحسان في كل عبادة يكون بحسبها، **ويجمع ذلك أمران:**

الأمر الأول: الإخلاص لله تعالى، وهذا الأمر يتفاضل فيه المؤمنون تفاضلاً عظيماً، فالإخلاص عمل من أعمال القلوب التي يتفاضل الناس فيها كالمحبة والخوف والرجاء وغيرها.

الأمر الثاني: اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تلك العبادة بأدائها بلا غلو ولا تفريط.

وهذا يكون في كل عبادة ومعاملة يراد بها وجه الله بحسبها.

١ : فإحسان الوضوء يكون بإسباغه وتكميل فروضه وآدابه وعدم مجاوزة القدر المشروع في عدد الغسلات كما في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وابن ماجة من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء؛ فأراه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»

فالزائد على القدر المشروع غير محسن، والمقصر عنه غير محسن، والموسوس غير محسن.

٢ : وإحسان الصلاة يكون بإقامتها وأدائها في أول وقتها، وتكميل واجباتها وآدابها وأن يصليها كأنه يرى الله عز وجل.

⇦ فمن أخل بأركانها وواجباتها فليس بمحسن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته:

«ارجع فصلّ فإنك لم تصل» متفق عليه.

والساهي عن الصلاة غير محسن، والذي لا يخشع في صلاته غير محسن.

- وفي صحيح مسلم عن عمرو بن سعيد بن العاص قال: كنت عند عثمان فدعا بطَهور فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من امرئٍ مسلمٍ يحضره صلاةٌ

مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارةَ لما قبلها من الذنوب ما لم يُؤتَ كبيرة، وذلك الدهر كله».

وعن نافع مولى ابن عمر قال: سمعت ابن عمر يقول: أتى رجلٌ النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله حدِّثني بحديث واجعله موجزًا.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «صلِّ صلاةَ مودِّع؛ فإنَّك إن كنت لا تراه فإنه يراك، وأيّس مما في أيدي الناس تكن غنيًّا، وإياك وما يعتذر منه». رواه الطبراني والبيهقي في الزهد والخطيب البغدادي والضياء المقدسي وحسّنه الألباني.

وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «صل صلاة مودع كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك»

قال بكرٌ المزنيُّ: (إذا أردت أنْ تنفعَك صلاتُك فقل: لعلّي لا أُصلّي غيرها).

وكان من فقه بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم يخففون الصلاة إذا خافوا الوسواس كما روى الطحاوي في مشكل الآثار عن أبي رجاء العطاردي قال: قلت للزبير بن العوام رضي الله عنه: ما لي أراكم يا أصحاب محمد من أخف الناس صلاة؟

فقال: (نبادر الوسواس).

ويوضحه ما في الحلية لأبي نعيم عن أنس قال: كنّا إذا صلّينا خلفَ الزبير بن العوام فأخف الصلاة قلت: يا أصحاب محمد ما لي أراكم أخف الناس صلاة؟

قال: (إنا نبادر الوسواس، ولكنكم أهلَ العراق يطيل أحدكم الصلاة حتى يغيب في صلاته).

فالصلاة الموجزة التامة التي يحسنها صاحبها خير من الصلاة الطويلة التي لا يحسنها.

وبهذا تعلم أن المطلوب إحسان العمل لا كثرته

كما قال ابن القيم رحمه الله:

والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان

فالعـــارفون مـــرادهم إحســـانه والجـاهلون عمـوا عـن الإحسـان

فعملٌ قليل في إحسان خير من كثير غير حسن.

٣: والإحسان في الإنفاق يكون بأدائه احتساباً لله عز وجل خوفاً وطمعاً لا يريد ممن أحسن إليه جزاء ولا شكوراً، ولا يُتْبِعُ نفقَتَه منًّا ولا أذى؛ ففي النفقة عملان عمل للقلب وعمل للجوارح؛ فعمل القلب ألا يريد بالنفقة إلا وجه الله تقرباً إليه خوفاً وطمعاً، لا يريد ممن أنفقه عليهم جزاء ولا شكوراً.

كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

وقال عن عباده الأبرار: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ❖ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ❖ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾

والإحسان إلى الناس خوفاً من الله عز وجل يطهر القلب من العجب والغرور والتعالي بالنفقة والمفاخرة والمباهاة بها؛ وبهذا تعلم أنه ليس كل منفق محسناً، بل من الناس من ينفق الأموال الكثيرة في وجوه الخير وتكون وبالاً عليه وعذاباً يعذّب به، لفساد قصده ونيّته، وفساد سلوكه في الإنفاق، وكل ذلك مخالف للإحسان.

فمما يفسد النية في الإنفاق: **الرياء** و**الفخر** و**العجب** و**التعالي**.

ومما يبطل ثواب الصدقة: **المنّ** و**الأذى**، والمنّ من الأذى لأن الذي يُمنّ عليه يتأذى بذلك، وفيه أيضاً سوء أدب مع الله عز وجل.

والأذى في الإنفاق أنواع:

– **منه** المنّ وهو أعظمها وهو من كبائر الذنوب، والذي ينظر إلى أن ماله منّة مِنَ الله تعالى عليه، استخلفه فيه لينظر كيف يعمل في هذه الأمانة لا يمنّ بإنفاقه، وإنما يمنّ من غفل عن هذا الأمر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

– **ومن الأذى في الإنفاق**: المماطلة فيه، والتعالي بالنفقة على المحتاج، والتعسير عليه في أخذها، حتى لا يكاد يأخذ المحتاج حقَّه إلا بشق الأنفس.

وقد قيل:

وأفضلُ البرِّ ما لا مَنَّ يتبعه ... ولا تقدَّمه شيء من المطَل

– **ومن الأذى**: أن يخرج ما تعافه نفسه من رديء ما يملك، وقد أمر الله بالإنفاق من طيب المال، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

وقد وعد الله تعالى المحسنين في الإنفاق بالفضل العظيم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾

وهذا المثل من أبلغ الأمثلة وأعظمها عبرة، والعرب تشّبه قليل الخير والبركة من الناس بالصفا الأصلد الذي لا ينبت كلأً ولا يوري ناراً.

قال تأبط شراً:

ولَستُ بجلبِ جلبِ ريحٍ وقرّةٍ ... ولا بصَفاً صَلدٍ عَنِ الخَيرِ معزلِ

الجِلْبُ: هو السَّحَاب المعترض كأنه جَبَل، يُرى عظيماً ولا ماءَ فيه ولانفع، وإنما يجلبُ الريح والبرْد، ويُضْرَبُ مثلاً للذي يَعِدُ الوعود العظيمة وهو في حقيقة الأمر يؤذي ولا ينفع.

كما قال نهشل الدارمي:

كَجلبِ السوءِ يُعْجِبُ مَنْ رآهُ ... وَلا يَسْقِي الحَوَائِم مِن لَمَاقِ

الحوائم: الطيور الحائمة، واللَّماق: المُذْقَة اليسيرة.

والشاهد قوله: (ولا بصفا صلد عن الخير معزلِ)

والصفا الصلد هو: الحجر الكبير الصلب الأملس لا ينبت كلأ ولا يوري ناراً، تجعله العرب مثلاً للرجل الذي لا ينتفع به.

ومما يوضح هذا المعنى قول الحطيئة:

لا يُبعِدِ اللهُ مَن يُعطي الجزيلَ ومَن ... يَحبو الجَليلَ وما أَكْدَى وَلا نَكدا

وَمَــن تُلاقيــهِ بِــالمَعروفِ مُبتَهِجــاً ... إِذا اجرَهَدّ صَفا المَذمُومِ أَو صَلَدا

وقال الأصمعي: (صَلَدَ الزّنادُ إذا صَوَّت ولم يخرج ناراً).

فقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾

أي إن مثل هذا المنفق المغترّ بنفقته، ويظنّ أنها تنفعه، وهو قد أبطلها بالمن والأذى كمثل صفوان صلد لا نفع فيه ولا خير، إذْ كان ما فعله من الخير باطلاً، وإنما هو كتراب غطّى الصفوان فلما أصابه المطر تبيّنت حقيقته وبقي صلداً.

فهذا مثَل المسيء في نفقته، وأما مثل المحسن فكما قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

نسأل الله من فضله.

وتأمَّل كيف شبَّه الله تعالى آياته ومواعظه بالماء الذي إذا نزل على مكان طيّب صالحٍ للنبات قد تُبّت غرسه فإنه ينفعه ويثمره وينميه، وأما الصفوان الأصلد الذي غطي بالتراب فإنه يكشفه على حقيقته ويعرّيه.

= فالمحسن في نفقته كالذي يغرس في جنة طيبة مباركة، قد ثبت غرسها تثبيتاً حتى استقر في تلك الأرض الطيبة فكان ما يصيبها من الماء نافعا لها منبتاً لغرسها حتى ينمو نباتها ويؤتي ثماره ضعفين.

فانظر إلى اختلاف آثار آيات القرآن الكريم على قلوب العباد فمنتفع بها مبارك له فيها، ومحروم من بركتها معذّب بها، والعياذ بالله.

٤. وإحسان الجهاد قد جمع الله صفاته في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)﴾

فدلت هذه الآيات على أن المجاهد الذي تتحقق فيه هذه الأوصاف من المحسنين الذين يحبهم الله عز وجل.

فهؤلاء حملهم الصبر على عدم الوهن والضعف والاستكانة.

وحملهم اليقين على تحقيق الاستعانة بطلب التثبيت والنصر من الله، وقدموا الاستغفار ليقينهم بأنهم إن خذلوا فإنما خذلانهم من قبل أنفسهم بتفريطهم وتقصيرهم ومخالفتهم هدى الله فيما وصاهم به، فاستغفروا الله تعالى من الأسباب الموجبة للخذلان.

فمن قام بهذه الأمور فهو محسن في جهاده، وقد وعد الله من كان هذا حاله بثواب الدنيا والآخرة، وأخبره بأنه ممن يحبهم، وهذه المحبة لها لوازمها وآثارها وفضلها العظيم الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، فيكفي تنبيهاً على فضلها العلم بها، وَسَرّح نظرك في معاني هذه المحبة وآثارها وفضائلها تجدها تجمع من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ما لا يبلغه وصف واصف، ولا يحيط به خيال متخيّل.

وغاية مطالب السالكين وأشرف مقاماتهم أن يكونوا من المحسنين الذين يحبهم الله تبارك وتعالى.

فهؤلاء المجاهدون المحسنون الذين يطيقون الجهاد في سبيل الله عز وجل

➢ وأما الذي لا يطيق الجهاد لضعف أو مرض أو قلة نفقة فإنه إذا كان ناصحاً لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أي جامعاً لمعنى الصدق والإخلاص: إخلاص القصد لله عز وجل، والصدق في محبة الله عز وجل ونصرة دينه وإعلاء كلمته، لا ينطوي قلبه على غش ولا تخاذل عن نصرة دين الله عز وجل متى استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا يؤثر القعود وهو يستطيع، وعلم الله من قلبه ذلك فهو من المحسنين

كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٩١)﴾

فإحسان هؤلاء هو النصيحة لله عز وجل، وهذه المرتبة من الإحسان ممكنة للمحسنين في كل وقت، ولا تكلفهم أكثر من إخلاص القصد وصدق العزيمة، وإنما يحرم خيرها وفضلها من حُرم.

= ويخطئ بعض من يستدلُّ بهذه الآية على أن المحسن هنا هو المنفِق ؛ وأشنع منه خطأ من يستدل بها على أن كل منفق محسن، وهذه الآية نصٌّ في وصف الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون بأنهم محسنون بشرط النصيحة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

❐ ٤: أبواب الإحسان

واعلم أن أبواب الإحسان كثيرة، ومن شأن المحسنين أن يتحروا الإحسان في العبادات والمعاملات على الوجه الذي يحبه الله عز وجل ويرضاه مخلصين لله عز وجل، متبعين لهدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي هديه أحسن الهدي في كل شيء، فلا إحسان إلا باتباع هديه، ولا إحسان أحسن من هديه، بل من جاوز هديه فهو غالٍ غير محسن كما أن من فرّط في اتباع هديه فهو جافٍ غير محسن.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن أحسن الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه و سلم).

فمدار الإحسان على تكميل الإخلاص والمتابعة.

والتفقه في هدي النبي صلى الله عليه وسلم لنتعلم منه أوجه الإحسان في العبادات والمعاملات هو سبيل معرفة الإحسان.

وذلك أن هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فطهوره أحسن الطهور، وصلاته أحسن الصلاة، وإنفاقه أحسن الإنفاق، وصيامه أحسن الصيام، وحجه أحسن الحج، ومعاملته للناس أحسن المعاملة وهكذا في كبير الأمور وصغيرها.

ثم أصحابه من بعده هم أحسن الناس هدياً بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأقربهم منه منزلة وأفقههم في دين الله عز وجل.

وأولاهم بالاتباع من شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان وأمر باتباع سنتهم وهديهم كالخلفاء الراشدين الذين قال فيهم: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». رواه أحمد وأبو داوود.

ومن أئمة المحسنين الذين ورد في شأن إحسانهم أحاديث وآثار: الخلفاء الأربعة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين وعمرو بن الأسود وعمر بن عبد العزيز وآخرون رضي الله عنهم أجمعين.

ومعرفة سير المحسنين والتعرف على هديهم وأخبارهم وآثارهم مما يعين على فهم معنى الإحسان، والاتساء بهم فيما أحسنوا فيه، وقد بوّب البخاري باباً في صحيحه في كتاب الأدب سماه: (باب في الهَدي الصالح).

ومن تحرَّى الإحسان وحرص عليه وسأل الله تعالى الإعانة عليه؛ رُجي له أن يوفق للإحسان، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلّم، ومن يتحرّى الخيرَ يُعْطَه، ومن يتوقَّى الشر يُوقه).

وأبواب الإحسان كثيرة، ففي صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيء؛ فإذا قتلتم فأحسِنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وَلْيحدّ أحدُكُم شَفْرَتَهُ وَلْيُرِح ذبيحَته».

فالإحسان مكتوب على كل شيء، وإحسان كل شيء بحسبه، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم هنا الإحسان في الذبح، فمن خالف هديه فلم يحدّ السكين ولم يرح ذبيحته فليس بمحسن في ذبحه.

وهذا مما يبيّن أهمية الفقه في الدين فإنه به يعرف طالب الإحسان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات؛ فيعرف هديه في الوضوء والصلاة والصدقة والصيام والحج والجهاد والبيوع والطعام والشراب والنوم والنكاح والمعاشرة والبرّ والصلة ومعاملة الناس على اختلاف أصنافهم، وهكذا في سائر الأمور.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم لهديه على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يبين ذلك بفعله، وينقل عنه، كما قال: «صَلُّوا كما رأيتموني أصلي» وقال: «خُذوا عني مناسككم» فما فعله النبي صلى الله عليه وسلم فهو أحسن الهدي لنا ما لم يكن ذلك مختصّا به، لا يحق لأحد أن يفعل مثله، كالزواج بأكثر من أربع نساء.

النوع الثاني: ما بيّنه بقوله.

النوع الثالث: ما بيّنه بإقراره.

وإذا تأملت أبواب الإحسان وجدتها كثيرة في العبادات والمعاملات، **ويجمعها أمران** كما تقدم:

الأول: الإخلاص لله عز وجل، بأن يؤديها كأنه يرى الله تعالى فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

الثاني: اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تلك العبادة.

وهذان الأمران لا ينالهما العبد إلا بإعانة الله عز وجل وتوفيقه، وحاجة العبد إلى هذه الإعانة متكررة دائمة، كما دلّ على ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أَنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَخذ بيدِهِ، وقال: «يا مُعَاذُ، واللهِ إِني لأُحِبُّكَ»

فقال: «أُوصيكَ يا معاذُ، لا تَدَعنّ في كلِّ صلاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهمّ أَعِنّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسنِ عِبَادَتِكَ». رواه أحمد وأبو داوود والنسائي، وفي رواية النسائي: قال مُعَاذٌ: (وَأَنَا أُحِبُّكَ).

فهذا الحديث يدل على أن حاجة العبد إلى سؤال إحسان العبادة دائمة متكررة، لا يستغني عن ذلك أبداً، ومن فقه ذلك فقه افتقاره إلى الله تعالى في كل وقت.

ومعاذ بن جبل رضي الله عنه من أئمة المحسنين ومما وصاه به النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه هنّاد بن السري في الزهد وابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني في الكبير وغيرهم عن محمد بن عمرو بن علقمة قال: حدثنا أبو سلمة قال: قال معاذ بن جبل: يا رسول الله أوصني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك مع الموتى، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وإذا عملت السيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر والعلانية بالعلانية»

«وأخبرك بما هو أملك بك من ذلك؟»

قال: يا رسول الله وما هو؟

قال: «هذا» وأشار إلى لسانه.

قال معاذ: يا رسول الله هو ذا وأشار إلى لسانه

قال: «وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا هذا».

وأبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك معاذ بن جبل، فالإسناد فيه انقطاع لكنه له شواهد يحسّن بها، وقد حسنه الألباني، وأورده في السلسلة الصحيحة.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فأصاب الناس ريح فتقطعوا، فضربت ببصري فإذا أنا أقرب الناس

من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: لأغتنمن خلوته اليوم، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يقربني - أو قال - يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟

قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير».

قلت: أجل يا رسول الله.

قال: «الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام العبد في جوف الليل يبتغي به وجه الله»، ثم قرأ الآية ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

ثم قال: «إن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه».

قلت: أجل يا رسول الله.

قال: «أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد، وإن شئت أنبأتك بأملك الناس من ذلك كله».

قلت: ما هو يا رسول الله؟

فأشار بإصبعه إلى فيه.

فقلت: وإنا لَنُؤَاخَذَ بكل ما نتكلم به؟!

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يُكِبُّ الناسَ على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم، وهل تتكلم إلا ما عليك أو لك؟!».

هذه رواية البيهقي، والحديث رواه أبو داوود الطيالسي وعبد الرزاق وأحمد وابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجه وغيرهم من طرق وبألفاظ متقاربة، إلا أن سياق البيهقي من أتمها.

- قال يونس بن عبيد: (لا تجد من البرّ شيئاً واحداً يتبعه البرُّ كلُّه غير اللسان؛ فإنّك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام، ويقوم الليل ويشهد بالزور بالنهار - وذكر أشياء نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق؛ فيخالف ذلك عمله أبدا).

obeikandl.com

❐ ٥: طرق معرفة الإحسان:

ورد بيان معنى الإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية وهدي السلف الصالح.

١ : فأما بيان القرآن لمعنى الإحسان ففي قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فالدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

ومن قام بهذه الأمور التي أمر الله عز وجل بها فهو من أهل الإحسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه تنبيهٌ ظاهرٌ على أن فِعْلَ هذا المأمور هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله رحمته، ورحمته قريبٌ من المحسنين الذين فعلوا ما أمروا به من دعائه تضرعًا وخفيةً وخوفًا وطمعًا.

فَقَدْرُ مطلوبكم منه - وهو الرحمة - بحسب أدائكم لمطلوبه، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ له دلالةٌ بمنطوقه ودلالةٌ بإيمائه وتعليله ودلالةٌ بمفهومه:

- **فدلالته بمنطوقه** على قرب الرحمة من أهل الإحسان.
- **ودلالته بإيمائه** وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان، وهو السبب في قرب الرحمة منهم.
- **ودلالته بمفهومه** على بعده من غير المحسنين.

فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة؛ وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة لأنها إحسانٌ من الله عز وجل أرحم الراحمين وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته.

وأما من لم يكن من أهل الإحسان؛ فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة، بُعْدٌ ببُعْدٍ وَقُرْبٌ بقُرْب؛ فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته.

والله سبحانه يحب المحسنين، ويبغض من ليس من المحسنين، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيءٍ منه، ومن أبغضه الله فرحمته أبعد شيءٍ منه.

والإحسان هاهنا هو فعل المأمور به سواءٌ كان إحسانًا إلى الناس أو إلى نفسه؛ فأعظم الإحسان: الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله تعالى والإقبال إليه والتوكل عليه وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالًا ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً؛ فهذا هو مقام الإحسان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - وقد سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان - ؛ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه»

فإذا كان هذا هو الإحسان فرحمته قريبٌ من صاحبه؛ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان يعني هل جزاء من أحسن عبادة ربه إلا أن يحسن ربه إليه).ا.هـ

وهو من نفيس ما كتب رحمه الله، وهو من رسالة له في تفسير هاتين الآيتين، وما تضمنتاه من آداب الدعاء بنوعيه.

فهاتان الآيتان من سورة الأعراف في بيان معنى الإحسان في العبادة عموماً.

وقد جاء وصف الإحسان في القرآن في بعض المواضع بصفات مخصوصة؛ كما سبق بيان معنى الإحسان في الجهاد لمن يطيقه ولمن لا يطيقه.

وجاء بيان معنى الإحسان في الابتلاء بأنه يكون بالصبر والتقوى كما قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

فالإحسان عند البلوى، يكون بالصبر والتقوى.

وورد في القرآن الكريم بيان معنى الإحسان في ذبح الهدي وتوزيعه فقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ

جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾.

والإحسان عند سماع خبر الله عز وجل وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم هو التصديق والتسليم وأن لا يكون في صدر المؤمن حرج من ذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾

فهؤلاء قد أحسنوا في تصديقهم.

وهذا الباب لو تأمله من يتدبر القرآن الكريم لعرف به أبواباً من الإحسان، وعرف في كل باب خصال الإحسان التي يحبها الله عز وجل.

والمؤمن في جميع أحواله لا يخلو من حالة تختص ببعض خصال الإحسان الذي يحبه الله حتى في أكله وشربه ونومه ومعاشرته ومزاحه وبيعه وشرائه وقضائه لشؤونه.

٢: وقول النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم؛ فإنه قد جمع في هذه العبارة الموجزة الغنية بلوازمها وآثارها ما يكفي اللبيب في معرفة معنى الإحسان الذي يحبه الله.

فيلزم من ذلك لوازم لا تحيط بها العبارة ولا يحصرها العاد، ولذلك اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم في بيانها بقوله: «كأنك تراه».

قال النووي رحمه الله: (قوله صلى الله عليه و سلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، لأنا لو قدّرنا أن أحدنا قام في عبادة، وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا

أتى به؛ فقال صلى الله عليه و سلم: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان؛ فإنّ التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه؛ فلا يقدم العبد على تقصيرٍ في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد؛ فينبغي أن يعمل بمقتضاه؛ فمقصود الكلام الحثّ على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم؛ فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته).

⇦ والخلاصة أن **معنى الإحسان يعرف بأمور:**

الأمر الأول: بيان القرآن الكريم لمعنى الإحسان العام والإحسان في الأمور التي بيّنها الله عز وجل في كتابه.

الأمر الثاني: بيان النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى الإحسان بهديه العملي والقولي والإقراري.

الأمر الثالث: تأمل سير أئمة المحسنين، والاهتداء بهديهم فيما أحسنوا فيه.

❐ ٦: معاني لفظ الإحسان في النصوص:

لفظ الإحسان يطلق في النصوص على **معان:**

المعنى الأول: إحسان العمل وإتقانه، فمن أتى بالعمل على وجه حسن فهو محسن.

المعنى الثاني: فعل الحسنات، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فالإحسان الأول غير الإحسان الثاني.

وقال تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والذي يجيء بالحسنة محسن، ودرجته في الإحسان بحسب استكثاره من الحسنات.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

المعنى الثالث: البر والإنعام إلى المخلوقين في كل مقام بحسبه قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، و﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره».

ويكثر - عند إرادة هذا المعنى – أن يُعَدَّى لفظ الإحسان بالباء أو اللام أو إلى، كما في الأمثلة السابقة.

وهو يصدق على الإحسان بالمال والجاه والعلم والبدن وغيرها من أوجه الإحسان.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ لفظ الإحسان فيه متضمن لمعنى العناية، ولذلك عدي بحرف الباء.

ويطلق لفظ الإحسان ويراد به ما يشمل هذه المعاني كلها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ وقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾.

❐ ٧: والإحسان يكون بالقلب واللسان والجوارح:

١: فأما إحسان القلب فهو أصل إحسان سائر العبادات، فالعبادات القلبية الحسنة يظهر أثرها على اللسان والجوارح.

ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أن تعبد الله كأنك تراه» وهذا عمل قلبي.

ومتى تحقق العبد بهذا الوصف وقام بحقه أحسن العبادات الباطنة والظاهرة.

فلذلك كان الأصل في مرتبة الإحسان العبادات القلبية من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والخشية والإنابة والتوبة وغيرها.

وهذه العبادات من أحسنها أفلح وفاز فوزاً عظيماً

والإحسان فيها على **درجتين:**

الدرجة الأول: الإحسان الواجب، وهو ما تصح به هذه العبادات وتسلم به من الشرك والبدعة والغلو والتفريط.

الدرجة الثانية: الكمال المستحب، وهو المراد هنا، وهو مضمار تسابق أولياء الله المحسنين، وتفاضلهم فيه كبير عظيم وهم فيه على درجات ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

ومما يدل على أن هذه العبادات القلبية منها واجب ومستحب ما رواه مسلم وأبو داوود النسائي وغيرهم عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا؛ فقالت: يا نبي الله أصبتُ حداً فأقِمْهُ عليّ؛ فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليّها فقال: «أحسن إليها؛ فإذا وَضَعَت فأتِني بها».

ففعل: فأمر بها نبي الله فشُدّتْ عليها ثيابها، ثم أَمَرَ بها فرُجِمَت؛ ثم صلّى عليها؛ فقال له عمر: (تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟!)

قال: «لقد تابت توبةً لو قُسِّمَت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم!، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟!».

والتوبة من الزنا واجبة، وهذه الصحابية رضي الله عنها تابت توبة تزيد على التوبة الواجبة بسبعين ضعفاً!

فهي قد أحسنت التوبة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لها، وكان يجزئها من توبتها جزء من سبعين جزءاً؛ فكان ما زاد على ذلك قربة لها ونافلة مستحبة متقبلة.

والتوبة الحسنة التي يحبها الله هي التوبة النصوح التي أمر الله عز وجل بها في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾.

والتوبة النصوح هي الصادقة الخالصة لله عز وجل التي يتوبها العبد خوفاً وطمعاً، خوفاً من عقاب الله وطمعاً في مغفرته وثوابه، ويلزم لصحتها الندم على فعل الذنب، والاعتراف به، والإقلاع عنه لله جل وعلا، والعزم الصادق على أن لا يعود إليه أبداً.

فمن فعل ذلك فقد أحسن التوبة.

فتبيّن أن التوبة النصوح تقوم على أمور يتفاضل التائبون في تحقيقها تفاضلاً عظيماً، ﴿والله يحب التوابين﴾؛ فاللهم إنا نسألك توبة نصوحاً.

وتفاضل العبادات القلبية يكون في أمرين:

الأمر الأول: قوة الاحتساب والإتيان بالعبادات القلبية، كما يتفاضلون في المحبة والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

الأمر الثاني: تعدد المقاصد الحسنة في الأعمال التي يعملها العبد، حتى إن من بركات الإحسان أن يعمل العبدُ العملَ الواحد يكون له فيه مقاصد حسنة متعددة فيثاب عليها جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

٢: وأما الإحسان بالقول فهو أن يتحرى العبد القول الحسن الطيب الذي يحبه الله في كل شؤونه.

فإذا ذكر الله بلسانه أحسن الذكر، وإذا وعظ أحسن الموعظة، وإذا دعا أحسن الدعوة، وإذا علّم أحسن التعليم، وإذا نصح أحسن النصيحة، وإذا تحدث مع الناس أحسن الحديث إليهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾، وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾.

وكل أمر من هذه الأمور تجدون في القرآن العظيم وهدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بيانَ خصالِ الإحسان فيها.

فالمحسنَ مَهديٌّ للقول الطيب الحسن الذي يحبه الله، فيوطن نفسه ألا يتكلم إلا بخير، وألا يقول إلا قولاً حسناً، وهو أولى الناس باتباع وصية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

ومن ثمرات هذا الإحسان وبركاته أن يكون المحسن محبوباً لدى الناس، مقبول القول لديهم، وما ذلك إلا لاتباعه هدى الله في معاملة الناس والتحدث إليهم، فلا يقول إلا ما يحبه الله من القول الحسن، ومن كان حاله كذلك فهو محسن إلى الناس كافّ أذاه عنهم، قاطع على الشيطان عمله في الإفساد والنزغ بينه وبين من يحدثهم.

وبهذا تعلم أن من يؤذي الناس بلسانه فهو من أبعد الناس عن الإحسان، كما روى الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه و سلم: يا رسول الله إنّ فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدّق وتؤذي جيرانها بلسانها!

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا خير فيها هي من أهل النار».

قالوا: وفلانة تصلى المكتوبة وتصدق بأثوار ولا تؤذي أحداً.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هي من أهل الجنة».

الأثوار جمع ثور وهو قطعة من الأَقِط، وفي رواية الحاكم: (وتتصدق بأثوار من أَقِط).

وفي سنن الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي».

والإساءة في القول نقيض للإحسان، وأنواع الإساءة في القول كثيرة، منها: قول الزور والبهتان والكذب والغيبة والنميمة والإيذاء والفحش والبذاءة واللغو والإلحاف في السؤال.

فالذي يقع في هذه المساوئ غير محسن، والإساءة في القول ترجمان لسوء في القلب.

وليعلم أن الغلظة في القول في مواضعها ليست من الإساءة، بل هي من الإحسان الذي يحبه الله.

والأقوال الحسنة متفاضلة، وأحسنُ القول وَصَفَه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فالداعي إلى الله الذي يعمل الصالحات ويعلن انتسابه للإسلام ويعتز به من أهل الإحسان في القول.

وبه تعلم أن الداعي إلى الضلالة والصد عن سبيل الله أسوأ الناس قولاً، والذي يخالف عملُه قولَه غير محسن، بل هو مسيء بمخالفته.

ومن سمات المحسنين حرصهم على القول الحسن في مواضع تأكده وجوباً أو استحباباً، كأن يترتب على القول الحسن نصرة حق في موقف يحتاج فيه إلى كلمة حق ناصرة، أو دفاع عن مظلوم فينصره بكلمة حق، أو ذبٍّ عن عرض مسلم، أو إصلاحٍ بين الناس، أو صَدٍّ فساد عن المسلمين، أو غير ذلك من المواقف التي ربما تكون كلمة حسنة تقال فيها سبباً لسعادة العبد وفلاحه، كما قال الله تعالى عن الذين عرفوا الحق وشهدوا به: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم».

والمقصود أن **إحسان القول على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: تجنب القول السيئ الذي يبغضه الله عز وجل وأسوؤه قول الشرك بالله عز وجل والصد عن سبيله وقول الزور والغيبة والنميمة والفحش والبذاءة وغيرها.

وقول الفُحْشِ في اللغة يعمّ قول الخنا المستقذر والسباب المقذع

قال النابغة يمدح امرأة:

بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذ أهلاً ولم تُفْحِش على جار

وقال سلمة بن الخرشب الأنماري رداً على عامر بن الطفيل:

وإنك يا عام بن فارس قرزل معيد على قيل الخنا والهواجر

عام: ترخيم لاسم عامر، وهو عامر بن الطفيل كان قد شبب بأسماء الفزارية بقول سيء وأقذع في سب قومها لما فرّ هارباً من وقعة المرورات وهو من أيام الجاهلية، وعامر هذا هو صاحب الغَدَرَات الذي قتل أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم وهم من قراء الصحابة وخيارهم.

والشاهد قوله: (معيد على قيل الخنا والهواجر) الهواجر من القول هو السباب المقذع، والخنا هو القول الماجن، وكلا النوعين من فاحش القول.

الدرجة الثانية: الإتيان بالقول الحسن الواجب، في حق الله عز وجل وفي حق الناس، فأما القول الحسن في حق الله عز وجل فأحسنه وأوجبه كلمة التوحيد، ثم ما يجب عليه من الأذكار الحسنة والأدعية الواجبة في الصلاة وفي غيرها، وما يجب عليه من الأقوال الحسنة في حق الناس، وأحق الناس بالقول الحسن الوالدين كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي طيباً حسناً.

ومما يجب من القول الحسن: رد السلام، وبيان الحق عند وجوب بيانه، ونصرة الحق، والذب عن عرض المسلم، وغيرها من المواطن التي يجب فيها القول الحسن مع الاستطاعة.

الدرجة الثالثة: القول الحسن المستحب، وهذه الدرجة مترتبة على الدرجتين السابقتين.

وهو يشمل نوافل الأقوال الحسنة من التلاوة والذكر والدعاء والدعوة إلى الله تعالى، وما يندب إليه من الإحسان إلى الناس كتعزية المصاب بقول حسن، وتثبيت المبتلى، وإعانة

المستعين، ومكافأة صانع المعروف، وغيرها من الأقوال الحسنة المستحبة التي من أداها مع ما قبلها فهو من أهل الإحسان في القول.

٣: وأما إحسان العمل فهو من أثر إحسان عمل القلب، وإحسان القول، والأعمال الحسنة **على نوعين:**

النوع الأول: العبادات العملية فهذه أداؤها على وجه حسن بإخلاص واتباع بلا غلو ولا تفريط هو الإحسان المطلوب؛ فمن كان هذا دأبه في عباداته فهو من أهل الإحسان فيها، ويتفاضل المحسنون في هذه المرتبة تفاضلاً عظيماً.

النوع الثاني: معاملة الناس، والإحسان في معاملة الناس على **ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: كف الأذى، فالذي لا يكف أذاه عن الناس فليس بمحسن، بل هو من أبعد الناس عن الإحسان، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الدرجة الثانية: أداء الحقوق الواجبة، وأخصها حق الوالدين وحق الأرحام والجار، ومن بينه وبينه معاملة تقتضي حقاً خاصاً كالشركاء من حق بعضهم على بعض الصدق والبيان، وحق المؤتمن على الأمانة أن يؤديها، وحق المشتري على البائع أن لا يغبنه في سعرها وأن يبيّن له عيبها إن كان فيها عيب، ونحو ذلك من الحقوق الواجبة.

التي من لم يؤدها فهو مسيء غير محسن.

فالعاقّ والقاطع والغاشّ والمخادع والخائن والمختلس والسارق مسيؤون غير محسنين.

فمن كف أذاه عن الناس وأدى الحقوق الواجبة فهو محسن الإحسان الواجب.

الدرجة الثالثة: الإحسان المستحب، وهو أنواع ويجمعه أنه ما زاد على القدر الواجب من وجوه الإحسان وهي كثيرة متنوعة فالصدقة إحسان، والكلمة الطيبة إحسان، وتبسمك في وجه أخيك إحسان إليه، وتوسعة المجلس له إحسان، وكل هذه الأعمال الحسنة يثاب عليها العبد إذا احتسب فيها نية صالحة.

واعلموا أن هذه الكلمات وإن استطالها من استطالها فهي مختصرة ملخصة من أبواب قد أفرد جماعة من أهل العلم في بعضها كتباً أو مباحث في كتبهم، فلا يستطل طالب العلم

هذه المباحث الملخصة، وقد اختصرتها لكم لتكون معينة على مواصلة الطلب إذا ضبطت هذه المسائل الملخصة.

ووراء كل مسألة ما وراءها من التفصيلات والأدلة والآثار والأخبار والأمثلة والقصص التي طويت ذكرها اختصاراً، وإنما ذكرت ما أحسب أنه يفي بالغرض في هذا المقام.

وهذه المسائل لخصتها لنفسي ولإخواني طلاب العلم، ورب واصف دواء هو أحق به، لكن واجب أداء أمانة التعليم تقتضي أن أبيّن لكم في كل باب ما أحسب أنه ينفع طلابه، والله المسؤول أن يمنّ علي وعليكم بتوبة من عنده، وأن يغفر لنا خطيئاتنا وجهلنا وإسرافنا في أمرنا وخطأنا وعمدنا وهزلنا وجدَّنا وكل ذلك عندنا.

❐ ٨: سمات المحسنين:

مما يعين على بلوغ مرتبة الإحسان أن يتعرف طالب هذه المرتبة على سمات المحسنين وهديهم ودلّهم، ألا ترى أن طالب كل صنعة ينظر إلى أربابها المبرزين فيها فيرتسم طرائقهم ويحذو حذوهم حتى يعدَّ منهم.

فكذلك طالب الإحسان ينبغي له أن يتعرف على سمات المحسنين ويصحبهم أحياء وأمواتاً فأما المحسنون الأحياء فهم من أندر الموجود بل هم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وحيثما وجد واحد منهم فصحبته غنيمة عظيمة لأنه قدوة صالحة يتمثل بها.

وكم قد سمعنا من بعض مشايخنا مواقف رأوها في صحبتهم لمشايخهم ولبعض الصالحين كان لها أثر بالغ في نفوسهم، حتى إن منهم من إذا ذكر بعض أولئك لا يكاد يتمالك نفسه من البكاء لقوة ما أثرت فيه تلك المواقف، وكانت أبلغ من دروس نظرية كثيرة يتلقاها العبد وقلبه غافل عن عقل معانيها كما ينبغي.

وأما الأموات فسير كثير منهم محفوظة مسطرة من تأملها وفقه آثارهم ومآثرهم تجلّت له بعض معاني الإحسان بمفهومه العام الواسع الذي يشمل جميع شؤون العبد في عباداته

ومعاملاته ويجمعه ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمته الجامعة الماتعة: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وقد تأملت سمات المحسنين الجامعة لهم فوجدت أن **أهمها وأظهرها:**

١: الصدق والإخلاص.

٢: النصيحة لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين.

٣: السكينة.

٤: البعد عن التكلف.

٥: تركهم ما لا يعنيهم.

وقد طويت شرحها اختصاراً.

❐ ٩: تيسير الإحسان.

واعلم – أحسن الله إليك – أن بلوغ مرتبة الإحسان يسير لمن يسّره الله له، والموفَّق لها من وفّقه الله، ومن أدلة ذلك أن الله تعالى أمر بالإحسان فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

ورغَّب في الإحسان وحثّ عليه، وما جعل الله في الدين من حرج، وما كان الله ليعسِّرَ على عباده ما يرغبهم فيه، حتى يكونوا هم الذين يأتون من أسباب الخذلان ما يُحْرَمون بسببه التوفيق لبعض أعمال الإحسان.

ومن أعظم أسباب التوفيق لها: تعظيم أوامر الله، وشكر نعمه، وكثرة ذكره، والمجاهدة.

فأما تعظيم أوامر الله عز وجل فإنه علامة على تقوى القلب كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وأما شكر النعمة فإن الله تعالى يحب الشاكرين ويوفقهم لما يحبه لهم، ولمَّا اعترض المشركون على هداية ضعفاء المؤمنين قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

obeikandl.com

وأما كثرة الذكر فتجلي القلب، وتطرد الشيطان، وتزيد محبة الرب جل وعلا في قلب العبد، ومحبة الرب جل وعلا لعبده، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فلا يزال العبد يذكر الله بقلبه ولسانه حتى يوفق للإحسان.

ولذلك لما وصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأحب له مرتبة الإحسان وأخبره بمحبته له كما في سنن النسائي من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي عن الصنابحيّ عن معاذ بن جبل قال: أخذ بيدي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «إني لأحبكّ يا معاذ».

فقلت: (وأنا أحبك يا رسول الله).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تدع أن تقول في كل صلاة ربّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

والذكر والشكر عبادتان، لكن قدما لأنهما من أسباب التوفيق لحسن العبادة.

ومن جاهد لبلوغ هذه المرتبة وتحراها فحري أن ينالها وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾.

وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه وهو من الأربعة الذين أوصى معاذ بن جبل عند موته بالتماس العلم عندهم: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه)، وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورجح الحفاظ وقفه على أبي الدرداء رضي الله عنه.

وليس من شرط بلوغ مرتبة الإحسان أن يكون العبد مكثراً من الأعمال، وإنما المطلوب إحسان العمل بأداء الفرائض والتقرب بما يتيسر من النوافل بلا تنطع ولا تفريط.

ولا يستطيع العبد إحصاء الأعمال الصالحة كلها والإتيان بها، كما في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن».

وقد نُقِلَ عن جماعة من السلف في بيان فضل بعض المحسنين أنهم لم يسبقوا بكثر صلاة ولا صيام وإنما بشيء وقر في قلوبهم.

وليس من شرط المحسن أن تكون جميع أعماله حسنة، بل إذا كان الغالب على شأنه الإحسان ومقاربته فهو من أهل الإحسان إن شاء الله تعالى.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يُدْخِل أحداً الجنةَ عملُه».

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بمغفرةٍ ورحمة».

فالسداد هو الإحسان، والمقاربة هي مقاربة الإحسان.

بل ليس من شرط المحسن أن يكون معصوماً من الذنوب، فقد يقع في الذنب كثير من المحسنين لكنهم منيبون توّابون إذا عملوا سيئة أتبعوها حسنة فمحتها، السرُّ بالسر والعلانية بالعلانية، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه بذلك في الحديث المتقدم ذكره، وفي الحديث الآخر:

«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

والتوبة من العمل غير الحسن مشروعة متقبلة ولذلك يشرع للعبد أن يستغفر الله تعالى بعد أداء العبادة كما ورد في الصلاة والحج وغيرها لما قد يقع في عبادته من التقصير في إحسانها، فالاستغفار ونوافل العبادات مما يجبر به تقصير العبد في عبادته.

والإحسان أعلى مراتب الدين، والمحسنون فيه متفاضلون وأعلاهم مرتبة الصديقون.

وقد زعم بعض الصوفية أن فوق مرتبة الإحسان مرتبة وهي مرتبة الفَناء وله تفسيرات وأنواع عندهم منها ما هو مقبول إذا فسّر تفسيراً صحيحاً، ولا يجاوز في حقيقته مرتبة الإحسان، ومنها ما هو ضلال مبين.

❐ قوله: (وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَالّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].
- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرّحِيمِ (٢١٧) الّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلّبَكَ فِي السّاجِدِينَ (٢١٩) إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠].
- وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَانٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّ كُنّا عَلَيكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]).

هذه أدلة من القرآن الكريم لبيان معنى الإحسان وفضله.

- فأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾.

الوثقى أي التي لا أوثق منها.

فتبيّن أن الإحسان هو أفضل العمل، وأنه لا يكون إلا بإسلام الوجه إلى الله تعالى، أي يكون قصد العبد خالصاً لله تعالى ويكون منقاداً لأوامره جل وعلا مطيعاً له.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَالّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

فيه بيان فضل المحسنين وأنهم فائزون بمعية الله تعالى الخاصة التي تقتضي محبته ونصره وتأييده وهدايته وحفظه وغير ذلك من المعاني الجليلة العظيمة التي جعلها الله تعالى لأهل معيته الخاصة.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

التوكل من أجل العبادات، والذي يحقق التوكل من المحسنين في توكلهم فهو متوكل على الله مؤمن بأن الله يراه ويعلم حاله.

فتحقق فيه وصف الإحسان.

obeikandl.com

- ومما يوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَانٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١].

تفيضون فيه أي: تأخذون فيه.

ومن آمن بأن الله تعالى شهيد على جميع أعماله وقام بحق هذا الإيمان من إحسان العبادة فهو من أهل مرتبة الإحسان.

❐ قوله: **(وَالدّلِيلُ مِنَ السُّنّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَلَيْهِ السّلامُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:** (بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ.

فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟

فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً».

فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السّاعَةِ؟

قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ».

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ».

قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِياً.

فَقَالَ صَلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: «يَا عُمَرُ؛ أَتَدْرِي مَنِ السّائِلُ»؟

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «هذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»).

هذا الحديث يسمى حديث جبريل، وهو من أجلّ الأحاديث النبوية، وفيه بيان مراتب الدين، وبعض أشراط الساعة، وذكر فيه أركان الإسلام وأركان الإيمان ومعنى الإحسان وقد سبق شرح ذلك ولله الحمد.

وسبق بيان سبب تحديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا الحديث عن أبيه.

وسيأتي شرح هذا الحديث بالتفصيل المناسب إن شاء الله تعالى عند شرح الأربعين النووية.

هذا، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

obeikandl.com